الإسلام في قفص الاتهام

بسم الله الرحمن الرحيم

تصوير ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
الطبعة الخامسة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ، كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ، إلا بإذن خطي من
دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - برقياً : فكر - تلكس Tx FKR 411745 Sy

شوقي أبو خليل

الإسلام

في قفص الاتهام

دار الفكر

مقدمة الطبعة الجديدة

﴿ اليَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْـلامَ دِيناً ﴾ .

[المائدة : ٣]

بسم الله القـائل في محكم التنزيل : ﴿ يُرِيـدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْـواهِهِم ، وَاللهُ متِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الكافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] ، وصلى الله على سيـد المرسلين محمد بن عبد الله ، المبعوث رحمة للعالمين القائل : « **لا تزال طـائفـة من أمتي قـائمـة بـأمر الله لا يضرهم من خـذلهم أو خـالفهم حتى يـأتي أمر الله عز وجل وهم ظاهرون**[1] » ، وبعد ...

لقد تم تأليف هذا الكتاب على مرحلتين :

مرحلة أولى جمعت خلالها الشبهات التي ازدحمت في رؤوس كثير من شبابنـا عن الإسـلام ، والتي هي في حقيقتهـا غـزو فكري خـارجي ، بثّـه المستشرقـون المتعصبون ، والصليبيون الحاقدون .

ومرحلة ثانية عكفت خلالها على الرد ، بعد أن جمعت المراجع الكافية ، التي سيلمسها القارئ من خلال البحث ، وأحببت أن تكون الردود بطريقة جديـدة ، فكانت طريقة « المحاكمات » : متّهِم ، وقاض ومتّهَم يدافع عن نفسه .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١٠١/٤ وسنن الدارمي : ٢١٣/٢

كما أنني كتبت هذا الكتاب إلى فئتين متباينتين :

الفئة الأولى ، فئة مؤمنة بالله خالقاً مبدعاً ، وبمحمد بن عبد الله نبياً مُرْسَلاً ، وبالقرآن العظيم كتاباً مُنْزَلاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والفئة الثانية ، فئة تائهة ضلّت فأنكرت وجود الله ، ولم تعترف بنبوة رسول الله ، ولا بما جاء به .

كتبت لهاتين الفئتين ليكون للفئة الأولى سلاحاً فكرياً ، وزاداً روحياً وهم يخوضون معركة التقاليد الفكرية في عصرنا .

وليكون الكتاب نفسه أضواء كاشفة تبدد تخيلات وأوهام الفئة الثانية ، إنْ لم تصل إلى مرحلة : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِ ، وَإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِن يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ، وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم ، هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ؟ ﴾ [الأعراف : ١٤٦ و ١٤٧] .

وإنه لمن دواعي سروري أن يجد الكتاب طريقه إلى الفئتين معا ، وشاهد ذلك جلي ، تعدّد وتكرار طباعته ، وزاد سروري ، أن أجد الكتاب يترجم إلى غير لغة الضاد[٢] ، ليجد سبيله إلى غير أمة العرب أيضاً ، وهذا يدل على أن مصدر الشبهات التي يبثّها أصحاب الأغراض في العالم الإسلامي واحد ، وإن تغيرت أو اختلفت اللغة التي ينطقون بها من بقعة إسلامية إلى أخرى ، ويدل

---

(٢) ترجم الأستاذ حسن أكبري مرزناك هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية . ونشرته دار « انتشارات بعثت » في طهران ، ويترجم حالياً إلى الأندونيسية .

أيضا على أن دواء هذه الشبهات واحد ، دواء مورده القرآن العظيم ، ومنهله سُنّة النبيّ الكريم ﷺ .

إن الهجمة الموجهة إلى الإسلام أينما وجد ضارية ، خصص لها كل ماتحتاجه من إمكانات ، وأعداء الإسلام لا ينتهون ولا يرعوون ، ولو تبدّدت معظم أعمالهم : ﴿ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الذي بَنَوا رِيبَةً في قُلُوبِهِم إلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُم ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٠] .

وأعداء الإسلام يعلمون أنهم لو وجّهوا جزءاً من جهودهم ، للطعن في أي مبدأ غير الإسلام لاضمحل ، ولصار تاريخاً للذكرى ، ولكنه الإسلام ، ذلك الطود الراسخ الشامخ ، الصامد الباقي بحفظ الله وبفضله وحده : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر : ٩] .

فلك الحمد ربي ، أشكر لك شكر المقر العارف فضلك ، المستزيد من كرمك وعطائك ، لعلّي ألقاك وأنت راض ، ممن تنطبق عليهم الآية الشريفة :

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُم أَوْ عَشِيرَتَهُم ، أولَئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

والحمد لله رب العالمين ، عليه توكلت ، فهو نعم المولى ونعم النصير ..

شوقي أبو خليل

ص . ب ٦٢٢٢

دمشق - سورية

تصدير الطبعة الثانية

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ ، ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ ، لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلعَبِيدِ ﴾ .
[الحج : ٨ ـ ١٠]

الحمد لله الذي أعانني فكتبت ، ويسَّر لي السبل ، فنشرت هذا الكتاب . الحمد لله الذي كلَّل جهودي بالعناية والتوفيق ، فلقي كتابي هذا مالقي من الانتشار والرواج ... الحمد لله ربي ، أسألك مزيدا ... أدعوك بقلب عرفك حين كذَّب غيره فأقرَّ ، وآمن بك وزلزل غيره واستقر ، وبعد ...

وقف الناس من كتابنا هذا في طبعاته الأُولى مواقف متعددة متباينة :

١ ـ فئة أخذت الكتاب ، وبعد تدارسه ، تقبَّلته بإعجاب وتقدير وتأييد وصدى طيب . لمست ذلك مشافهة ، وبرسائل عديدة تلقيتها من داخل القطر ومن خارجه .

لهذه الفئة شكري وامتناني .

٢ ـ وفئة رضيت بالكتاب ككل ، وكان لها استفسارات واستيضاحات لنقاط قليلة ، راسلني أصحاب هذه الفئة ، وراسلتهم ، وفي هذه الطبعة المزيدة

والمنقحة ، عرضت بعض آرائهم من خلال البحث ، وتمسّكت برأيي في مواقف أُخرى لقناعتي به بعد إعادة البحث والتمحيص .

هذا ... وإن الخلاف جزئيٌّ لا يمس جوهر الموضوع في أكثر نقاطه .

٣ ـ فئة أخرى ، كان عنوان الكتاب في الطبعة الأولى والثانية والثالثة حجاباً بينهم وبين مافيه من خير . قد يكونون يفتشون عنه ، وما ذلك إلا من قبيل التعصب ، أو الغيرة ، التي لم يضعها أصحابها في مكانها المناسب .

« الإسلام في قفص الإتهام » ؟!! ياغيرة الله وكيف يكون ذلك ؟! علماً .. إن صاحب الفكر الموضوعي . المجرد عن كل هوى . إما أن يحسن ظنه ، ويكلف نفسه عناء الاطلاع على محتوى الكتاب . وبعدها يقرر موقفه . وإما أن يقول : إن كل متهم بريء حتى يُدان . فهل أدين الإسلام في هذا الكتاب ؟

هذه الفئة هاجمت الكتاب ـ لاأقول ظلماً وعدواناً ـ بل جهلاً وضيق أفق ، ولو علمت هذه الفئة ماحوت دفتاه ، لتبنّت الكتاب .

٤ ـ فئة أخيرة ، وصلت إلى مايُسمَّى « الجهل العلمي » ، وثقت من نفسها بأول خاطر ظنته صواباً ، ومن ضلَّ على بيِّنةٍ وعلم ، لاخير في نقاشه .

انطلق أصحاب الفئة هذه من افتراضات وتحليلات وغايات ... بل ومن أهداف مناوئة للعقيدة الإسلامية ، وللتاريخ الإسلامي . مع أنه من أبسط قواعد النِّصْفَة ، أن التاريخ لايكون بالافتراض ، وبفلسفة أحكام خيالية ، مبدأ احتمالاتها واحد إلى ملايين ، « وقد تفلح الفلسفة في كل شيء ، إلا في تعليل ماعلّته معروفة » .

من هذه الفئة ، إنسان زارني في داري ليقنعني وينصحني ألا أكتب بمثل موضوع « الإسلام في قفص الإتهام » ، لأن أفكاره ، أفكار العصور الوسطى

المظلمة ، ودعاني لكتابة موضوعات « علميّة » .

ـ قلت له : هل قرأت الكتاب ؟

ـ قال : لا .

فَصَمَتُّ ، وكم يكون الصمت أبلغ من التعبير في مواقف معينة ، منها موقفي هذا . وقبل وداع هذا الإنسان قلت له : من ألف باء العلم الذي دعوتني إليه ، وحدثتني عنه ، أن تقرأ الكتاب أوّلاً ، لتكون دعواك « علميّة » .

فلهذه الفئة عزاؤنا . وإشفاقنا منهم على العلم و« التحليل العلمي » .

وأخيراً ... ندعو الله بدعاء الرافعي :

« اللهم هيئ لنا الخير ، واعزم لنا على الرشد ، وآتنا من لدنك رحمة ، واكتب لنا السلامة في الرأي ، وجنبنا فتنة الشيطان ، أن يقوى بها فنضعف ، أو نضعف لها فيقوى ... » .

٢٨ جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ
١٨ حزيران ١٩٧٤ م

شوقي أبو خليل

تصدير الطبعة الأولى

☆ ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ .

[الحاقة : ١٢]

يكيد لنا العدو - على مختلف صوره وأشكاله - بما يحاول أن يثبت في نفوسنا من أسباب الضعف والتخاذل باختراع الأكاذيب . وتلفيق الدعاوى . وتزييف التاريخ . وتشويه سيرة نبي الإسلام ﷺ وطعن أعلامه ... وبما يكرره من الحديث عن نقصنا وكماله . وضعفنا وقوته . وتخلفنا وسبقه . وانحلالنا وتماسكه ... وفي بعض ما نعرض من دفاع في هذا الكتاب برهان يدفع هذا الباطل . ويوضح ضعفه وقوتنا . وانحلاله وتماسكنا . وفيه إلى جانب ذلك برهان آخر على أننا حين نتحد رأياً وخطة لا يمكن أن يغلبنا على حقنا وصحة تاريخنا غالب ...

ولقد استطاع أعداء الله في غفلة من الزمن أن ينفذوا بشبهاتهم وحقدهم من فوق أسوار البناء الإسلامي المكين تحت أعين الغافلين عن حراسته في العصور الأخيرة . حينما صار أمر الدين في أيدي ناس جعلوه صلاة وعبادة فقط . وتركوا ميادين الحياة لغيرهم . واليوم تحقق للمستشرقين الصليبيين ما أرادوا بشيوع أفكارهم . لا عجب أن يجني المسلمون ثمار ما فرطوا في جنب أنفسهم حينما فرطوا في جنب الله ...

ومن خلال مطالعاتي ودراساتي في السنوات السابقة . عندما كنت طالباً في السنة الثالثة في جامعة دمشق أدرس خلالها تاريخ العرب والإسلام . مَرَّ علي

وخزات وطعنات في تاريخ هذه الأمة وفي رجالاتها . فقررت أن أتحيَّن الوقت - ولو بعد زمن - لأرد على هذه الافتراءات . خدمة لأمتي العربية الخالدة وأبنائها . لا سيما وأن لهذه الأمة - ولدينها بالذات - خصوماً محترفين . وخصوماً ينكرونه على قدر جهلهم به وبسيرة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام .

والمحترفون اتخذوا القدح في أمتنا صنعة يتفرغون لها ويعيشون منها . ولا غنى لهؤلاء المحترفين عن اختلاق المآخذ . وتصيد التهم التي تجري بها أرزاقهم . وتتصل بها أعمالهم . سواء أعرفوا الحقيقة من وراء هذه المآخذ وهذه التهم . أم جهلوها وقد أعرضوا عن البحث فيها لأنهم يريدون الاتهام ولا يستريحون إلى معرفة تهدم كل ما عملوه . وتصرفهم عن كل ما ألفوه وعقدوا النية عليه ...

وهناك زمرة من المستشرقين درست الإسلام عن حسن نية . فلا تأبى أن تعترف بالحقيقة إذا استمعت إليها أو اطلعت عليها . وبعضهم سيء النية لأنه مسخّر في خدمة الاستعمار وما إليه من الدعايات الدولية . فلا يعنيه من المعرفة إلا ما يملى له في عمله . ويمهد لدعايته ...

إنهم تخيّروا خطة لإصابة الإسلام في مقتل توهموه . ولكنهم على خطأ في اختيارهم لهذا الكذب ومجانبة الحقيقة للتهديم . إذ أن الحقيقة في المواضيع التي طرقوها أهون شيء على المسلم العارف بدينه . المطلع على سيرة نبيه . وكل اتهام أو تحدٍّ يوجه إلى الإسلام لا يوجه له نفسه دينا . أو لذاته عقيدة . بل يوجه إلى الفرد المسلم . فإن كان عالماً ردّه . وإن كان جاهلاً تحيّر ماذا يفعل !!

ومن حسن الطالع أن الإسلام لم يضق صدره بناقد ولا بحاقد . وأنه كان على مر العصور مثلاً حياً لسعة الصدر . واتساع الأفق . ورحابة مدى النظر . وأن الباحثين من رجال الإسلام كانوا يردون على المغامز والمطاعن سواء أكانت صريحة أم خفية . ورد هؤلاء العلماء الواثقين لا يخدمون به قضية الدين فحسب . بل

يخدمون قضية العلم والبحث المجرد النزيه . وقد يهون الجهل إذا كان سبباً للجحود . وعدم الإنصاف . ولكن إذا اجتمع له سوء النيـة وخبث الطويـة . فـإن البليَّـة هنـا مزدوجة . والمصيبة مضاعفة ...

وشر ما منيت به حملات التحـامل على الإسلام هو ذلـك **الاتفـاق المبيت ، والتـدبير المحكم بين المستشرقين المتعصبين** ، كأنهم أمـام متَّهم لا بـدَّ أن يـدينوه . وتلـك النيـة المبيتـة في الحكم تقضي دائمـاً إلى نتـائـج تكاد تكـون واحـدة ومتشابهـة .. حتى لقـد أصبحت التهم والأبـاطيل معروفـة مكررة لكثرة مـا توارد عليها من سهام الاتهـام . فشوهوا الإسلام في أذهـانهم فقـط لا في حقيقتـه . مع أنهم وقفوا من البوذية ـ **وهي ديانة وثنية غير سماويـة** ـ موقفـاً متَّزنـاً . والإسلام وهو دين سماوي مُوَحِّـد . وقفـوا منـه مـوقف التحـامـل والعـداء . مـع أن المُنْصِف الموضوعي لا يقف من خصمه موقف التحـامل بلا دليل في قضيـة لا يُلقي فيهـا إلا كلاماً جزافاً بغير برهان .

والحق يقتضينا أن نميز أنواعاً ثلاثة من المستشرقين :

١ ـ جاحدون متعصبون .

٢ ـ فئـة يمكن أن نطلـق عليهـا : أصحـاب النيـة الحسنـة ، لكنهم لم يتبينـوا حقيقة الادعاءات التي خرجت من أفواههم . وإلى هنا فقط أَوْصَلَهم علمهم .

٣ ـ منصفون موضوعيون . استطاعوا أن يستشفوا حقيقة الإسلام وأن يتبينوا أبعاده . فعبّروا عن آرائهم ببعض الكتابات والآراء المنصفة . ومنهم من قاده الإيمان والعقل والاقتناع إلى الإسلام فأسلم .

النوع الأَول :

قـادهم الهوى إلى التجريح المطلق . والتهويـل والعـويـل دون حـدود مثـل : مرجليوث . ويوليوس فلهاوزن . والأب لامانس . ووليم مور . ونورمان ديـال .

وموير . ودرمنجهم وهملتون جيب ... وعشرات أُخر . وكمثال بسيط على أفكار هذه الزمرة نأخذ « المسيو كيمون » في كتابه : « باثالوجيا الإسلام » حيث يقول : « إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس . وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً . بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منها إلا سفك الدماء . وأن يدمن على معاقرة الخمور ويجمع في القبائح . وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الهستريا (الصرع) العامة والذهول العقلي . وتكرار لفظة الله إلى ما لا نهاية . والتعود على عادات تنقلب إلى طباع متأصلة ككراهة لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى . والجنون الروحاني ... وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات ... » .

وهذا الكاتب المستشرق وأمثاله يعتقدون أن المسلمين وحوش ضارية . وحيوانات مفترسة « وأن الواجب إبادة خُمْسِهِم . والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، مع تدمير الكعبة . ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر » ـ كما يقول المسيو كيمون ـ . **فمثل هذا لا يريد أن يفهم ، ولايجب أن يفهم ، ولو برهنا على فساد رأيه ، وعلى ادعاءاته بالحجج والأرقام .**

ومن هؤلاء المستشرقين الذين حملوا معاول الهدم المؤرخ « برايس » الذي قال : « إن احتكاك الإسلام بالحضارة سيقضي عليه ويؤذن بنهايته » متغافلاً عن حقيقة لا تقبل الشك . أن الحضارة الحالية مدينة للإسلام بوجودها . وصدر الإسلام الرحب يسع العلوم كلها لأنه مصدر حث عليها .

والنوع الثاني :

قادهم علمهم المحدود إلى معرفة أشياء وغابت عنهم أشياء . عرفوا جوانب وجهلوا أخرى . فأحدهم يصيب تارة . ويخطئ أخرى . مثل غيتاني وغوستاف

لوبون . وكارل بروكلمان وهو لغوي في الدرجة الأولى . لكنه بحث في التشريع الإسلامي فتاه وأخطأ . فأمثال هؤلاء لهم شهادات منصفة . وأخطاء عن جهل وعن حسن نية أحياناً .

وغيتاني ـ المستشرق الإيطالي ـ مثلٌ آخر على هذا النوع : فهو يزعم أن الهجرة إلى الحبشة اقتصادية والخلاف حدث بين عثمان بن مظعون وأبي بكر الصديق متناسياً تعذيب قريش واضطهادها للمسلمين ومع ذلك فإنه يرفض محقاً « حكاية الغَرَانِيق » التي سيمر بحثها . وهكذا نراه يخطئ ثم يصيب ... وأمثاله كُثُر .

ومن هؤلاء من قدم للتراث العربي الإسلامي خدمة لا تنكر في مجال البحث والجمع والتصنيف والنشر ...

والنوع الثالث :

قادته موضوعيته إلى الإقرار بجمال الإسلام . وعظمة نبيه . لكنه بقي على دينه أمثال الدكتورة لورافيشيا فاغليري والدكتورة زيغريد هونكه ، وجوته ، وتوماس كارليل ، وبودلي ، وتولوستوي ، ولامرتين ، والفيلسوف الشهير برناردشو الذي قال : « **إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الانسانية ، إنني أعتقد أنه لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة** » .

ومن هؤلاء المستشرقين من ساقه عقله ودفعه علمه إلى الإسلام فأسلم أمثال : ليوبولد فايس الذي من كتبه الشهيرة التي تداولها الناس : الطريق إلى مكة . والإسلام على مفترق الطرق ... ومثل : إتيان دينيه[1] الفرنسي المسلم ، واللورد

---

(١) إتيان دينيه ، ولد في باريس عام ١٨٦١ . من كبار أهل الفن ورجال التصوير . صاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة . تزدان بها جدران المعارض الفنية . وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم . وردت ترجمته في معجم « لاروس » الكبير ، أعلن =

هيدلي[٢]، ورينيه جينو[٣]، والدكتور جرنييه[٤].

كما أسلم أخيراً الفيلسوف والسياسي والمفكر الماركسي « روجيه غارودي »، الذي يحمل دكتوراه في الآداب، ومرتبة الأستاذية في الفلسفة.

لقد درّس غارودي الفلسفة في الجامعات الفرنسية والجزائرية، وانتخب في أوائل الأربعينات إلى الجمعية الوطنية الفرنسية، وتكرر انتخابه أكثر من مرة، وفي عام ١٩٥٦ اختير نائباً لرئيس الجمعية الوطنية الفرنسية، وفي عام ١٩٥٩ عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي، وعضواً في المكتب السياسي الشيوعي الفرنسي حتى بداية السبعينات، وكان مرشّح الحزب الشيوعي لرئاسة الجمهورية الفرنسية.

= إسلامه رسمياً بالجامع الكبير بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧. كان كثير التفكير. جم التأمل. التجأ إلى العقل في أمور دين أبويه وبيئته. فرفضها وأسلم.
أشهر كتبه، أشعة خاصة بنور الإسلام. والحج إلى بيت الله الحرام.

(٢) اللورد هيدلي، كان لإسلامه ضجة كبيرة لمركزه. ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج في التفكير. وتروٍّ في الأُمور. قال عن سببب إسلامه. قرع الدين الإسلامي لبي حقاً وتملك رشدي صدقاً. وأقنعني تقاؤه. وأصبح حقيقة راسخةً في عقلي وفؤادي. إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتها قط من قبل.

(٣) رينيه جينو، عالم فيلسوف حكيم. أراد أن يعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ كما يقول ـ فلم يجد، بعد دراسة عميقة، سوى القرآن. فهو الكتاب الوحيد الذي لم يناله التحريف ولا التبديل. مؤلفاته مشهورة في أوروبة وأمريكة. وأهمها: أزمة العالم الحديث. الشرق والغرب. رمزية الصليب: فند فيه أن الإسلام انتشر بالسيف.

(٤) الدكتور جرينييه: قال عن سبب إسلامه: إني تتبعت كل الآيات القرآنية. التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية. والتي درستها من صغري. وأعلمها جيداً. فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة. فأسلمت لأني تيقنت أن محمداً ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ... ولو أن كل صاحب فن من الفنون. أو علم من العلوم. قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً. كما قارنت أنا ... لأسلم بلا شك. إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض.
هذه الأسطر من كتاب: « أوربا والإسلام » للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله.

كُتُبُه كثيرة ، كلها عن الحرية والاشتراكية العلمية مع دراسات عن الإسلام ، مع بعض الكتب الأدبية والمسرحيات .

وفي ١١ رمضان ١٤٠٢ الموافق لِـ : ٢ تموز (يوليو) ١٩٨٢ زار جنيف بدعوة من المؤسسة الثقافية الإسلامية ، حيث أعلن إسلامه بوثيقة رسمية ، واتخذ اسم « رجا » اسماً جديداً بدلاً من « روجيه » .

وهذا يثبت أن الإسلام بحاجة إلى عقول كبيرة عالِمَة تتفهَّمه وتتبناه .

كما ويثبت ـ بعد ألف وأربعمئة سنة ـ أنه القمة في الفكر المعاصر ، يجد فيه الفلاسفة والمفكرون ـ إن لم يكونوا أصحاب أغراض أو تعصُّب ـ ضالتهم المنشودة ، وملجأهم الطبيعي والفطري حيث الانسجام الفكري والاستقرار النفسي .

وأكثر ماركّز المستشرقون على فتوحاتنا العربية الإسلامية . فوصفوها بالوحشية والعنف . وبالقسوة والإكراه . ونسي المستشرقون صورتين متلازمتين في تاريخ البشرية :

ـ صورة بيت المقدس حين استولى عليه الصليبيون في أواخر القرن الحادي عشر .

ـ وصورته حين استعاده أهله في أواخر القرن الثاني عشر .

ففي الصورة الأُولى نجد الصليبيين يخربون ويدمرون ويقتلون سكان المدينة ويذبحونهم تذبيحاً . حتى ليعترف بعضهم أنهم وصلوا إلى مسجد المدينة في بحر من الدماء بلغ ركبتيه .

وفي الصورة الثانية نجد صلاح الدين يحمي الأرواح . ويبجّل رجال الدين . ويكرم الحرائر من النساء . ويصون المباني المقدسة . بل يرمِّمها ويأمر بإصلاحها .

ـ في الصورة الأولى : وحشية هؤلاء وقسوتهم وهمجيتهم .

ـ وفي الصورة الثانية : سماحة الإسلام ونبله وكرمه ...

بهذا شهد المؤرخون . غربيهم قبل شرقيهم . منذ عصر صلاح الدين حتى اليوم . ولكن ذلك لا يروق للمستشرقين . حتى لو شهد أبناء جلدتهم بنا خيراً .

يقول المؤرخ الإنجليزي المعاصر ـ وهو من مؤرخي الحروب الصليبية ـ رانسمان Runciman في كتابه : « تاريخ الحروب الصليبية . ج ٢ » . عند كلامه عن رجوع بيت المقدس وموقف صلاح الدين وجيشه من سكان المدينة :

« **كان المنتصرون معقولين وإنسانيين** ، فعلى حين نجد الفرنج عند استيلائهم على المدينة منذ ثمانية وثمانين عاماً يخوضون في دماء ضحاياهم . لا نجد في هذه المرة بناء نهب . ولا إنساناً أصابه أذى . ونرى الحراس ـ تنفيذاً لأوامر صلاح الدين ـ منبثين لحراسة الطرق والأبواب وحماية المسيحيين من أي اعتداء قد يصيبهم » .

هذا ...

وفي تاريخ الغرب مساوئ ومساوئ . وعار يتلوه عار . ولكن أين « المستغربون » الذين يكرسون أنفسهم للرد على « المستشرقين » .

تاريخنا وتراثنا كفتاة كاملة الجمال والحسن . رائعة الفتنة . وتاريخهم وتراثهم كعجوز شمطاء في عينها حَوَل . ووجهها مُتَغَضِّن . وأنفها رسم قوساً في وجهها ... ووظيفة هذا الصنف من المستشرقين : تشويه الفتاة الكاملة الجمال والحسن بتلطيخها بالطين تارة . وبتمزيق ثيابها تارة . أو برميها في عرضها حسداً أو حقداً فهي العفيفة الطاهرة .

وفي الوقت ذاته وظيفتهم تجميل الشمطاء بتزيينها حتى لو اضطروا إلى تركيب أعضاء جديدة تزويراً ومكابرة ... وكل عمل نقوم به نحن فهو في عرفهم تافه لا يذكر . وإذا قام الغرب بالعمل ذاته . فهو عمل كبير عظيم مُخَلَّد ...

المستشرقون ينظرون إلى نبوة محمد نظرة عادية مجردة من الصوت الإلهي ، وما ذلك إلا من قبيل التعصب الديني المبني على عداء سياسي ، إنهم ينكرون أن يكون محمد ذا نبوة صحيحة . بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل . ونحن في هذه الأُمور لن نغمض أعيننا عن آرائهم ولكننا سنفند الفاسد منها . وندل على موضع التحامل ليعرف القارئ ما يجب أن يدع مما يجب أن يأخذ .

إنهم ينكرون فضل الإسلام وأثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربة . لم ينكرون ؟ الجواب من بحاثة منصف ذاع صيته . إنه الدكتور غوستاف لوبون . في كتابه الشهير « حضارة العرب » : « لا أرى غير جواب واحد عن هذا السؤال الذي أسأل نفسي به أيضاً . وهو أن استقلالنا الفكري لم يكن في غير الظواهر بالحقيقة . وأننا لسنا من أحرار الفكر في بعض الموضوعات كما نريد »(٥) .

وقال : « والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم إلاّ من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد . وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التي ضاع أصلها ... فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً . قال مسيو ليبري : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربة في الآداب عدة قرون »(٦) .

ومع هذا ...

فنحن لا نريد التهجم على أحد . أو مشاتمة أحد . أو توجيه السهام لأحد . حتى المستشرقين المبشرين أصحاب الهوى . لأنهم لن يشعروا بهذا كله إنْ حصل . ولكن الذي نريده تفنيد هذه الشبه والمطاعن دون عويل . وإظهار الحقيقة دون

---

(٥) حضارة العرب . ص ٥٧٧ .

(٦) حضارة العرب . ص ٥٦٨ .

تهويل . لننصف العلم والبحث العلمي أوّلاً . وندافع عن تراثنا ثانياً . وحتى لا ينحرف شبابنا الناشئ مع هذا التيار من الاتهامات الباطلة التي يطلقها مثل هؤلاء المستشرقين . والتي تؤدي إلى إلقاء ستار كالح السواد على أعين شبابنا الذين لا يعرفون حقيقة دينهم . فيتبنون مثل هذه الآراء دون دراسة أو تمحيص ... ولهذا :

سنعمد إلى عقد **محكمة** ، وفي كل جلسة سَيُنَادى على الإسلام . ليثبت أنه فوق الاتهام . مع أن « **النائب العام** » سيوجّه إليه تهمة . والنائب العام في كل جلسة سيكون مستشرقاً . سنذكر اسمه واسم الكتاب الذي ذكر فيه شبهته . أو افتراءه . أو شهادته . منصفة أو متحيزة . فيأمر « **القاضي** » الإسلامَ بالدفاع عن نفسه . ونحن نعني بالقاضي : **العقل والفكر** ، العقل الواعي المدرك . والفكر الناضج الموضوعي الذي رمى التحيز وأقبل .

سيقف الإسلام بعْد أمر القاضي ودون أن يكلف محامياً للدفاع لوضوح الرؤيا . ويقينه من نفسه . فيرافع ويتلو محضر دفاعه مُبَرْمِجاً أدلته . ذاكراً مراجعها بوضوح ليسهل على من يحضر الجلسة . أن يرجع إليها . وتوخى الإسلام المراجع المتوفرة في الأسواق حالياً . مع ذكر « شواهد » من تاريخنا وتاريخهم . وآرائنا وآرائهم .

ثم نختم الجلسة بأمر من القاضي دون أن يعلن النتيجة ، أبراءة كانت أم إدانة . لأن كل قارئ يحمل عقلاً وفكراً مختلفاً عن عقل الآخر وفكره . فتوخيت أن أدع الحكم بالبراءة أو إبقاء الإدانة للقارئ نفسه ـ لك أنت يا من تمسك هذا الكتاب بين يديك ـ فدوِّن هذه البراءة أو الإدانة لا على الورق . بل في عقلك وفكرك الذي تحمله . ولم أسجل نتيجة المحاكمة في كل جلسة كي لا أفرض عليك ـ أيها القارئ ـ رأيي الذي توصلت إليه وهو : أن الإسلام بريء من تهم المستشرقين لا شائبة